مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.31 (NO. 129) 2025, pp. 471-482

قصيدتا (أغنية في شهر آب للسيَّاب) و(جلسة الأشباح لمحمود البريكان) دراسة في ضوء النقد الثقافي

م.م نبأ باسم رشيد
الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب
dr.nababasim@uomustansiriyah.edu.iq

مستخلص البحث:
لا شك أنَّ الوظيفة الشعرية تستند في بثِّ رؤاها الفكرية وطاقاتها التعبيرية على مرجعيَّات عدَّة، ولا سيَّما الأبعاد النفسيَّة وتمظهراتها التي تتضح داخل النصِّ الشعري، وهذا ما يسعى البحث إلى إظهاره، ومحاولة التركيز على مضمرات النصِّ ذات الطبيعة الانفتاحية، إذ تبدو استعمالات الشاعر ذات مستويات عديدة في الاشتغال الشعري وصلته بالمتلقي من جهة، وبالواقع من جهة أخرى، عبر الاتكاء على نسق التكثيف اللغوي، والطرح الإيحائي، وهذا ما يوجب الاستناد إلى جماليات فنية أدبية، تظهر تلبية لحاجات اجتماعية ونفسية، تهدف إلى التأثير في القارئ، فكان الاختيار لقصيدتي (أغنية في شهر آب للسيَّاب) و(جلسة الأشباح لمحمود البريكان)، إذ مثلتا ملمحاً من ملامح الخلق الشعري لعالم تختلط فيه الشخصيات والأمكنة والأزمنة والحوادث، التي تمثلها رؤية الشاعر في جوه الشعري، ورُبَّما يؤسس لنسق ثقافي ينبثق عن مرجعيات اجتماعية نفسية مؤطرة بنصٍّ إبداعي شعري، يفسح أمام المتلقي المجال؛ للبحث عن المسكوت عنه في سياق الدلالات اللغوية وإثراءاتها المضمونية.

الكلمات المفتاحية: النسق الثقافي، القلق، اللاجدوى، المقاربة النفسية، بنية النص

التوطئة:

ينبغي الإشارة إلى أنَّ القصيدة الحديثة قد قامت على أسس ومفاهيم حداثوية، تتسم بمقدرتها على إظهار الفكر الإنساني في سياقاته الفلسفية والاجتماعية والأدبية، فضلاً عن الاستناد إلى زعزعة الأفكار وتقويض عملية الاتباع.

فبدا البحث –هنا- عن ماهية المقاربة النصية وأبعادها النفسية والاجتماعية، وهذا ما يسمح للنقد الثقافي واشتغالاته المضمونية التحليلية أن يكون النشاط النقدي المزاول في هذه الدراسة، عبر المقاربة التحليلية التطبيقية لنصي السيَّاب ومحمود البريكان، إذ بدت عبر مرجعيَّات الشاعر الثقافية المنعكسة على الخطاب الشعري، ولاسيَّما ما يتعلق بالتمرد على المعطى الثقافي ونسقه، فكان المهاد النظري تعريفاً بالنقد الثقافي وأسسه ومقارباته الاجرائية، ومن ثم الوقوف عند نصي الشاعرين في محاولة لتتبع الدافع النفسي ونتاجه الشعري المتمثل داخل نسيج بنية النص الشعري.

المهاد النظري:

إنَّ النقد الثقافي ظهر في منظومة النقد المعاصر بشكل يكشف عن النواحي النفسية والاجتماعية والأدبية، وفقاً لما يثيره من تساؤلات وإفصاحات تنتجها الممارسة النقدية في بعدها القرائي التحليلي، إذ تبدو النزعة التأملية ذات أثر كبير في تحديد الأبعاد التصويرية والمرجعيات الفكريَّة وجوانبها الفنية، إذ لم يعد ينظر للنقد الثقافي على أنَّه تشكل جديد، بل اضطلع بمهمة الكشف عن الأبعاد المعنوية للنصوص في مضامينها المتناسبة بين ما هو ظاهري/ وباطني. فيظهر مكمن هذا النقد النسقي في بنية النص الإبداعي من حضور دائب متجسد في نتاج المبدع، بوصفه مضموناً نصياً يستدعي التأمل والفحص الدقيق، من أجل استقراء ماهيته المحملة بالرموز والإشارات، والوقوف عند العلاقة ما بين الدال والمدلول، بوصفهما بؤرة تجميعية لتكوين أنساق وراء نصيته وتنويعاته الجماليَّة.

وتستدعي الإشارة إلى أنَّ من الطبيعي وجود إطار تاريخي يعتمد على آليات التجريب لما يصطلح عليه اليوم بالنقد النسقي، إذ " يعود ظهور النقد الثقافي في أوروبا، حسب تقدير بعض الباحثين، إلى القرن الثامن عشر. غير أنَّ بعض التغييرات الحديثة، ولاسيَّما مع مجيء النصف الثاني من القرن العشرين، أخذت تكسبه سمات محددة على المستويين المعرفي والمنهجي... وقد تطور الأمر بأحد الباحثين الأمريكيين المعاصرين، وهو فنسنت ليتش إلى الدعوة إلى (نقد ثقافي بنيوي) " (البازعي، 2002، صفحة 306)، كما ظهرت حقبة زمنية تتسم بالامتداد لانطلاقة النقد الثقافي تبلورت في إنَّ "مصطلح الدراسات الثقافية ليس مصطلحاً جديداً، حيث شرع مركز الدراسات الثقافية المعاصرة بجامعة برمنجهام Brimingham في عام 1971- في نشر صحيفة أوراق عمل في الدراسات الثقافية" (ايزابرجر، 2003، صفحة 30). إذ إنَّ المجال الفكري الإنساني بماهيته النقدية وديناميته الأدبية يتطلب امتداداً تجديدياً، من أجل مواكبة العصرنة، لا يكتفي بالوقوف عند الأبعاد الجمالية للعمل الأدبي، فلم يعد ينظر للأدب على انَّه نتاج يتأطر بالخيال والشاعرية فقط، فضلاً عن كونه تحصيلاً حاصلاً لما يتعلق بالثقافة ونخبويتها فقط. وبذا فقد "كانت العناية بالمهمش والشعبي والخبيء في ذاكرة الشعوب هو الجانب الخفي المحرض للمسرحية الثقافية النقدية التي أنشأها النقد الثقافي والرؤية الشفافة للثقافة وآفاقها بعيداً عن تصنيفها إلى رفيعة، وشعبية، وواطئة، واكتشاف الأنساق الباطنة التي تقوم بالدور الفاعل في توجيه الذائقة والتلقي وسحبه باتجاهها، ووضع الاستجابة الجمالية في محاجر ضيقة لا يجوز انتهاكها" (صالح، 2012، صفحة 13). فبدأ الميل نحو محاولة تأصيل قواعد وروابط وأسس تحتكم إلى التداول والقصدية في بنية العمل الإبداعي، تكون منساقة وراء العملية التواصلية المتمثلة باللغة وأنماطها التعبيرية المتعددة، التي يعمد المبدع فيها إلى توزيع كلماته التواصلية بطريقة إفهامية تشفيرية. وهذا ما يوميء لـ أنَّ "النقد الثقافي نشاط وليس مجالاً معرفياً خاصاً بذاته" (ايزابرجر، 2003، صفحة 30)، ممَّا يحقق سمة التباين ما بين النقد بوجهه الأدبي من جهة، وماهيته الثقافية من جهة أخرى، إذ تتوارى في النصوص الدلالة التي تقع مسؤولية الكشف عنها على النقد الأدبي، كاشفاً للنقاب عنها، ومسؤولية استقراء النسق المضمر على النقد الثقافي الثاوي في بنية النص العميقة. ولعلَّ التساؤل –هنا- يكون عن معنى النشاط، وكيفية اختلافه عن النقد الأدبي؟ ويمكن الاجابة عن ذلك بأنَّه "نشاط فكري يتجسَّد إنشاء لغوياً ينتسب إلى الثقافة (culture) التي تحدد بدورها طبيعته ووظيفته وحدوده، كما تحدد هويته (تكرار الأسلوب بشكل متطابق) التي تميزه عن غيره من ألوان النقد الأخرى، فهو نقد ثقافي culture criticims... أنَّه موصوف (نقد) تتجدد هويته بصفة (ثقافياً)" (اصطيف، 2017، صفحة 15)، إذ تبدو قيمة المقاربة النقدية، التي تنطلق من تنامي الوعي النقدي الخطابي في استجلاء النسق الثقافي، وتلمس المعنى المسكوت عنه، من تلمس المعنى الظاهر ومزاولة نشاط الاستجابة النسقية التي تتمخض من تشكل الدلالة الثقافية داخل النظام اللغوي بأبعاده الاجتماعية والنفسية والثقافية. إذ إنَّ " النسق في ضوء انفتاحه على مكونات الثقافة- اللغة يؤسس نظاماً من العلامات المرجعية الخاصة، والاحتمالات الإشارية اللانهائية حيث تضحي العلاقة بين الدال والمدلول اعتباطية لا حدَّ لها" (عليمات، 2004، صفحة 42). فضلاً عن أنَّ النسق الثقافي يمارس فاعليته داخل المضمون النصي بوصفه نظاماً علائقياً محملاً بمرجعيات ثقافية وأطر معرفية ذات دلالة إيحائية، تتداخل مع النصوص، وتتشكل في تضاعيفها بقالب لغوي تختبئ وراءه المضامين النسقية، ما يمنح النص سمة الازدواجية في بنيته السطحية والعميقة (عليمات، 2004، صفحة 44).

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.31 (NO. 129) 2025, pp. 471-482

القراءة النسقية ومقاربتها النصية لقصيدتي السيَّاب ومحمود البريكان

إنَّ جدلية الذات وعلاقاتها بالواقع تؤسس مبدأ التواصلية ما بين المبدع والمتلقي، القائم على تتبع الإرهاصات النفسية والمرجعيَّات الاجتماعية، التي توحي بدلالات تعمق حالة شعورية، وتشخص ملامح سايكولوجية، ولاسيَّما موضوعة إثراء العمق القرائي وتماهي الذات مع شعور القلق والتوتر، وخلق صورة ذهنية ذات حركة متنامية في بنية النص، ولعلَّ أهم ما يحيل إلى الانفعالات النفسية وبواطنها الخفية ينعكس في عمل الشاعر على العنوان، بوصفه مسرباً بوحياً لتوجيه المتلقي صوب الاشتغال اللغوي وكشف طاقته التعبيرية وإيحاءاته ذات الطابع السايكولوجي. إذ إنَّ "عتبات النص: ملفوظات إشارية مشحونة بدلالات تسهم في كشف جوانب من عالم النص الذي تتجاذبه عناصر داخلية محايثة- وأخرى خارجية محيطة ومجاورة له" (صغير، 2014، صفحة 134)، فتظهر العلاقة التلازمية ما بين النص وانعكاس رؤياه، ومخبواءته النصية التي تنضوي تحت معنى الجمالية والفنية، فيبدو عنوان قصيدة السيَّاب (أغنية في شهر آب) مؤطراً لمقصدية الشاعر المتخفية في تصويرها لآفاق الدوافع النفسية، فتظهر مفارقة العنوان مع معطى القصيدة اللغوي، بقوله (السياب، 2017، الصفحات 18-19):

والبردُ ينثّ من القمر
فتلوذ بمدفأة من أعراض البشر
والليل يطفِّئ شطآنَهْ
والضيفة تقبع بردانهْ
.....
ليلٌ وجليدٌ
يتساقطُ عبرهما صوت، رنات حديد
وعواء ذئاب يخفيها
الصوت بعيد والضيفة مثلي بردانهْ

فالعنوان يحيل بلفظة (آب) إلى ما هو ضد البرد، بينما داخل النص يوحي بدلالة البرد، ليحيل لمعنى موت الحياة الباردة، حيث البرودة بالمشاعر والإحساس، فالنص يعبر عن حالة من الوحدة والبرد، ليس جسديا فقط بل نفسيا أيضاً، إذ تستدعي القراءة والتأمل عند عناصر الوعي التي تسهم في تجلي لواعج النفس التي تتراءى عبر تشظي مدلولات النص وعتبته النصية، المختزلة لرؤية المبدع ومعاناته مع الواقع الخارجي، المتمثلة بمجاراة النص ومخبوءاته، فلا تكون دلالة اللغة ذات الطبيعة التقريرية المباشرة كافية من دون وجود لغة صامتة أو خفية داخل النص، يكشفها تلاحم ثقافي ما بين المتكلم والمتلقي، أو وجود علامة سيمائية دالة (القاصد، الدلالة الثقافية وسيميائية النسق المضمر، 2023، صفحة 22)، فالعتبة تحيل إلى التغني بشهر آب ومعطياته المتوهجة، والنص تتداخل فيه ملفوظات إشارية ذات نسق متلاشٍ، يحيل المتلقي لنص مسكوت عنه يتباين ومعطى ثريا النص، حيث الإغراق في المفارقة بأسلوب رمزي يعكس الاغتراب والتأزم النفسي، الذي يبعث على الحيرة والسوداوية في شخصيات النص الشعري وتمظهر بواطنها الإدراكية وتماهيها مع الواقع. كما أنَّ تركيز الشاعر على ألفاظ مثل (الليل، الجليد، الذئاب)، يثير استدعاء لمخزون ثقافي مشحون برمزية الخوف والوحشة، إذ يعكس النص نقداً ضمنياً لفكرة المجتمع الحديث حيث تتراجع الحميمية الإنسانية. والنص المضمر ربما يضمر قلقا وجوديا لمأزق الإنسان الحديث، حيث الاغتراب في عالم يفتقد الدفء الاجتماعي والنفسي، وهذا ما يحاول الشاعر أن يسلط الضوء عليه في تبيان التجاذب بين

الحاجة إلى الانتماء والخوف من البيئة الخارجية، مما يجعل النص ذا طبيعة انفتاحية على تأويلات عديدة ترتبط بالتجربة الإنسانية في مواجهة البرد والوحدة بمعناهما الرمزي.

إنَّ الشاعر يتاح له تحويل التجربة الشعرية إلى عالم متشابك من العلاقات، يمنح فسحة من التأمل في تمرير النسق المضمر، ولاسيَّما إذا وقع في دائرة الاستسلام والانغلاق عن المحيط الخارجي، حيث يحتدم الصراع ما بين الذات ومثيراتها، ما يدفع بالذات لبناء عالمها الخاص المرتبط بالانفعالات الداخلية، وهذا ما يدفع بالشاعر لتكوين بنية منغلقة على نفسها، إذ يبدو السيَّاب معارضاً لهوية الانتماء الجمعي، فيجعل من الحياة معنى اعتباطياً يخلو من الترابط والاندفاع نحو الاستقرار الداخلي، بقوله (السياب، 2017، صفحة 17):

تموز يموت على الأفق
وتغور دماه مع الشفق
في الكهف المعتم والظلماء

فالبداية تشير إلى اليأس وعدم وجود الأمل، ذلك أنَّ تموز بدلالته الميثولوجية يمثل معنى الوفرة والحياة، وموت تموز -هنا- فيه إيحاء لخراب الحياة وجمودها، فهو لا يخفق في خلق عناصر الجمال الشعرية المتجانسة، التي تكشف عن أبنية النص ومؤثراتها الملامسة للحالة الشعورية، إذ إنَّ "لكل أداء لغوي فاعلية متجددة داخل بناء القصيدة، وهذه الفاعلية تخلق عدة علاقات متداخلة متضامة تتنوع في تيارات لا تدرك منفصلة، وإنَّما تنبثق شكولها من خلال الدلالات اللغوية، وبواسطة تتابع المعطيات الإيحائية" (عيد، 1993، صفحة 187)،فتحليل العلاقات بين المعطى الخارجي(المجتمع)، والمدرك الذاتي (الأنا)، يشير لنسق التشتت وعدم وجود علاقة ترابطية ما بين الفرد والمحيط الخارجي، مما عكس صورة سلبية لمتناقضات الحياة وصراعاتها المعقدة، والشاعر بذا يحيل المتلقي إلى نسقه المضمر في بعده الشعوري واللاشعوري في البحث عن عالم موازٍ يتسم بالقدرة على الاحتواء وتخليصه من اضطراب الواقع في حركة الحياة المتسمة باللاوجود، ذلكً "أنَّ النسق هنا من حيث هو دلالة مضمرة فان هذه الدلالة ليست مصنوعة من مؤلف، ولكنها منكتبة ومنغرسة في الخطاب، مولفتها الثقافة" (الغذامي، 2005، صفحة 79)، فتشكل سياق الخطاب الشعري يجسم ارتداد الشاعر إلى ذاته ورؤيته وفلسفته الحياتية القائمة على التجرُّد من إطار بيئته والانتماء إليها .

كما ينبغي الإشارة إلى (أنَّ إبراز المضمر في النص وإخراجه هو ما يحدده النقد النفسي" (صغير، 2014، صفحة 239)، إذ يعكس الجانب النفسي دوافع ورغبات لا شعورية، تتجلى بمثيرات رمزية موحية داخل الخطاب الشعري، وكثيراً ما يلجأ الشاعر لاستدعاء الرمز؛ لعكس المعنى المضمر، إذ "يستدعي استخدام الرمز جانبين: الأول حسي والآخر معنوي وباندماجهما معاً يحصل الرمز، إضافة إلى أنَّ العلاقة القائمة بينهما تعتمد على التشابه في العلاقات الداخلية بين طرفي الرمز كالنظام والانسجام والتناسب، مما يجعل النتيجة المتحققة تقوم على الإيحاء وليس على التقرير أو الوصف" (صغير، 2014، صفحة 86)، فالإيحاء يومئ لحركية المعنى داخل بنية النص، كما في قول محمود البريكان (البريكان، 1970، صفحة 50):

دعهم أذن. اذهب إلى السيرك. لقد جاؤوا من الهند بأفيال
ومجموعة أبطال"
" سأسقط في عيون الفيل. سوف أتابع الشفقة
"سأنحاز إلى صف الأسود الكهلة الأرقة

إنَّ تأمل النص الشعري يفصح عن الوظيفة الإفهامية، التي تتعمق في بنية النص عبر اللغة ودلالاتها، التي تتيح الاندماج مع النص؛ وصولاً إلى تفكيك مسرباته النفسية وما تنطوي عليه من اندماج مع

اللاشعور في داخل المتن الإبداعي، ولعلَّ السؤال المطروح –هنا- لماذا اختار الشاعر رمزية الطبيعة (الحيوانات)؟ إذ يبدو اغتراب الذات الإنسانية عن الطبيعة جليا، فهو يستعمل المدلولات اللغوية (الأسد، الفيل) بوصفها بؤرة تجميعية لما تختزله الذات من مكامن لا شعورية، تغوص في بنيات نصه، ذلك انَّ النسق يتسم "من حيث هو نظام بالمخاتلة، واستثمار المجازي ليمرر جدلياته، ومضمراته، التي لا تنكشف إلا بالقراءة الفاحصة" (عليمات ي.، 2015، صفحة 9)، فالمعنى المسكوت عنه يبدو بصورة إيحائية إسنادية، وكأنَّما الشاعر يضع عالماً موازياً افتراضياً قائماً على التخييل، لا ينفك ان يتخلى عنه، بمفهومه اللاشعوري وتكوينه الشعري، ورُبَّما يستنبطه معنى الرفض في الذهاب إلى السيرك، فهو على الرغم من اقتراب الإنسان من الطبيعة عبر إيماء (الترويض)، لكنه يبقى رافضاً للذهاب، مما يعكس نسقاً نفسياً مرتبطاً بالذات المغتربة عما حولها من الأماكن والأشياء، وما كان استعماله لملفوظات الطبيعة إلا ليعكس لا انتماءه، بوعي أو من دون وعي، وفقاً لما يراه في محيطه الخارجي، وتماهيه أو عدم تماهيه معه. تحثه فيه الدوافع الشعورية واللاشعورية، التي تتبدى داخل الخطاب الشعري الذي ينتجه الشاعر، فهو يحاور الفكرة، ما حدا بالقصيدة لأن يندرج في بنيتها النسق الثقافي المضمر لإيصال الدلالة ودواعيها الخفية. فيعكس النص رؤية نقدية عميقة للإنسان المعاصر ومجتمعه، حيث يتم تسليط الضوء على الصراعات النفسية والاجتماعية التي تنشأ من الاغتراب وفقدان الأصالة في عالم تحكمه النزعات الاستهلاكية والهيمنة. باستخدام رمزية السيرك والحيوانات، ينجح محمود البريكان في التعبير عن مأزق الإنسان الذي يجد نفسه في عالم قاسٍ، لكنه لا يزال قادرًا على التعاطف والتمرد عبر الانحياز إلى ما هو أصيل وإن كان ضعيفًا.

ولا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ "من يقرأ أبيات البريكان يجد انَّ تجليات القلق الشعري هو أحد ركائزه الأساسية وأهمها في إبداعه الشعري، فالشاعر يجسد مأساة الإنسان المعاصر" (الازبجي، 2020، صفحة 60)، ويمكن أن نلمح اللغة الانفعالية ذات الأثر النفسي، عبر تتبع الأسلوب الدلالي في سياق النص الشعري، إذ يبدو الشاعر محمود البريكان وكأنَّه قد جعل النص متجهاً نحو أفق اللامتوقع أو المألوف؛ ليكشف عن ماهية المضمر في بنية نصه الشعري، ذلك انَّ "كل نص إبداعي إنَّما هو نتيجة سببية نفسية ويحتوي على ظاهر ومضمر... وإنَّه انعكاس لنفسية الكاتب" (صغير، 2014، الصفحات 238-239)، فتعدُّ الدوافع السايكولوجية واحدة من أهم أشكال الفعل الكتابي بمقارباته وطروحاته النفسية، بوصفها طافات النص واستقراءاته النسقية، كما في قول الشاعر:

وقالَ لنفسه (البريكان، 1970، صفحة 51):

"يمكن أن اذهبَ
إلى الليلِ، إلى ناحيةٍ من غيرِ تحديد"

إذ يظهر النص وصف حالة الأسى التي تتخذ شكلاً تعبيرياً في التوظيف الشعري واستجلاء بعده السياقي الدلالي، فقد جمع بين ثنائيتي (الزمن/ والمكان) عبر الاتكاء على ملفوظهما (الليل/ وناحية من غير تحديد) وكأنَّه يومئ لعدم وجود مكان على الرغم من وجوده، فضلاً عن إعطاء اللفظ الزمني (الليل) مدلولاً مغايراً لماهيته الدلالية، إذ يعبر مدلول الليل عن مساحة زمنية، أمَّا الشاعر فقد جعل منها تمظهراً مكانياً، بقوله: (يمكن أن اذهب)، وهذا ما يعكس الحيرة في التوجه، إذ "إنَّ المكان في الدراسات الأدبية الحديثة لم يعد تلك الخلفية التي تجري ضمن إطارها أحداث النص فقط، أو مجرد انعكاس لشخصية الأديب نفسه، بل تعدى ذلك لصبح عنصراً شكلياً وتشكيلياً من عناصر تكوين النص أو العمل الأدبي، بشكل عام، وعلى هذا الأساس أخذ يمثل محوراً أساسياً من محاور اهتمام الأدب، فضلاً عن أنَّ –المكان- لازال يحتل مكانة مهمة في تكوين هوية الكيان الاجتماعي ورسم مرتكزاته الثقافية" (صالح ع.، 2017، صفحة 695)،والشاعر رُبَّما يوعز بنسقه المضمر المتمثل بشعور

الاغتراب، ذلك أنَّ "الاغتراب يعني حالة انفصال واستلاب، وهو إحساس الإنسان بأنَّه ليس في بيته وموطنه أو مكانه" (حسيبة، 2009، صفحة 75)، فالشاعر استطاع أن يجعل قصيدته ذات علاقة اسنادية مغايرة للمألوف، وترك محاولة تمكيننا من الاقتراب من الرؤية الذاتية، التي بدت ضاغطة بنسق شعري يبلور مفهوم الشعر الدلالي بنسيجه النسقي، عبر الاتكاء على القراءة الثقافية لبنيات النص، إذ "إنَّ القراءة الثقافية الفاحصة لسيمائية النسق/ الأنساق في النص الشعري تبرهن أنَّ النص الشعري تبرهن أنَّ النص الشعري بوصفه تشكيلاً جمالياً أداته اللغة المخاتلة يضمر في بنيته العميقة موضوعات إشكالية تبدو على تماس مباشر بواقع الشاعر ورؤيته الذاتية للوجود" (عليمات ي.، 2015، صفحة 27)،فالبنية الظاهرة للنص تفصح عن مدلول مكاني، أمَّا بنية النص المسكوت عنها ، فتفصح عن نسق الاغتراب وعدم الاستقرار المكاني، أي عدم وجود انتماء للزمان أو المكان. وهذا ما يعكس إدراك الشاعر الذاتي، أي عكس إحساسه الداخلي على بنية النص، وكأنَّه قد جعل من قصيدته صورة جامدة تمثل شخصياتها حالات الركود والتأقلم مع اللاجدوى أو اللانتماء للواقع ، عبر الاستعانة بمفهوم الزمن وتمثله في بنية القصيدة بطريقة سكونية، حيث الشخصيات مستلبة أمام الواقع، فبدت الشخصيات بصورتها الكهلة، والزمان بتوقفه، والمكان بسكونه، والحدث بلا جدواه، فلم يعد هنالك شيء يستدعي المحاولة سوى لحظات انفعالية.

أمَّا لدى السيَّاب فبدا الاغتراب واضحاً في نصه الشعري، الذي انعكس على النص بثيمة التباعد السايكولوجي ما بينه وبين المجتمع في الواقع المعاش، إذ إنَّ "من المتعارف عليه أنَّ هناك شيفرات ثقافية في كل زمان ومكان وفي كل مجتمع، وهذه الشيفرات تشكل السلوك العام والسمة الواضحة للمجتمع، وعند أية محاولة لفك هذه الشيفرات نجدها تتناول مختلف نواحي الحياة" (القاصد ح.، 2017، صفحة 63)، وهذا ما يدفع بالشاعر لأن يأتي بصورة متعارضة تتضافر عوامل شتى لبلورة بنية ثقافية ، ذات محاولة تقديمية مشحونة بأفكار ذاتية متوارية داخل النص، تعكس نمط الأنا وفلسفتها التي تصدر عن ذاتها المنفعلة، وقد تمثل ذلك بقوله (السياب، 2017، الصفحات 17-19):

الليل أتى يا مرجانهْ

فاضيئي النور وماذا؟ إني جوعانهْ
و.. نسيت، أما من أغنية؟
في لندن موسيقى جاز، يا مرجانهْ

....

تموز يموت ومرجانهْ
كالغابة تربض بردانهْ
وتقولُ، ويخذلها النفس:
الليل، الخنزير الشرس
الليل شقاء
مرجانهْ هل قرع الجرس
فتقول، ويخذلها النفس:
في الباب نساء
وتعد القهوة مرجانهْ

...

فتعال وشاركني بردي
بالله تعال

يا زوجي، ها إني وحدي
والضيفة مثلي بردانهْ

إذ إنَّ تتبع نص السيَّاب يُلحظ فيه تغليب المفهوم النسوي بجانبه المأساوي، ورُبَّما يعكس ذلك عقدة الحب لديه، فالمرأة لديه تمثل السطوة الحياتية التي مارست استحواذها بطريقة سايكولوجية، مما يجعله منعكساً في نصه بطريقة سلبية، ما حدا به لأن يجعلها وحيدة بشكل موازٍ لمعاناته النفسية، فتتبع العالم النسائي المرمز بشفرات ثقافية لنساء توقفت لديهن الحياة؛ يعكس غربةً نفسية داخلية، فبدت النساء باحثات عن بصيص أمل، وبدت الأشياء متجهة إلى الزوال، وكأنَّ نسق الشاعر عاكسا لمحور وجود المرأة، حيث النسق الضاغط المتمثل بـ(الضيفة، المربية، سعاد..)، يقود الشاعر في ذلك كوامن زيف الوعي الذاتي، عبر جعل المرأة مجسدة لطبيعة الذات المضطربة البائسة، فهي تمثل حطام المجتمع، وهنا تتجلي موضوعة العلاقة النسقية لتكون أداة العبور في نص الشاعر وبنية نسقه المضمر، الذي يسعى فيه إلى إثبات ذاته أمام المجال الاجتماعي والثقافي والنفسي، يدفعه في ذلك رغبة جامحة في تغليب ذاته على ذات المرأة، إذ تكون "طبيعة العلاقة بين الشاعر والمجتمع خطوة هامة في تفسير عملية الإبداع الفني" (سويف، صفحة 120)، مما يجعل من المعطى الجمالي نتاج تنسيق متقن للألفاظ وتتبع علاقاتها المبثوثة في السياق، بما يجعل من النسق المضمر منبثقا في الفعل القرائي وما يضيفه على النص من بعد ثقافي فني (عيد، 1993، صفحة 197).

وبذا يمكن القول: إنَّ الوعي الشعري يتحرك وفقاً لهيمنة الذات وانفعالاتها السايكولوجية، التي ترتبط بالمجال الوظيفي الإبداعي الجمالي ومدلولاته الوجدانية.

ورُبَّما يلجأ الشاعر إلى مجاورة المعنى بصورة قريبة منه، رابطاً صورة ذهنية ما بين البعد الفني والمعنى المراد إيصاله إلى المتلقي من دون المباشرة أو البوح؛ ليخوض تجربة الشعرية بصورتيها: الأولى، حقيقية المعنى، والأخرى، توليدية لقراءة نسقية (القاصد، 2023، صفحة 48)، ما يمكن نص الشاعر من أن يأخذ أبعاداً دلالية تتيح التجدد والانفتاح أمام النص في تجسيدها لتناقضات الذات مع هويتها واندماجها مع مكونها الاجتماعي، إذ يمكن أن يلحظ ذلك في قول الشاعر (البريكان، 1970، صفحة 51):

لماذا؟
قالت الببغاء في نبرة تهديد
وهزت ظهرها الأحدب

فتبدو اختياراته الجدلية لشخوص القصيدة المتمثلة بـ(الببغاء) التي جعلها الشاعر كهلة عبر وصفها بـ(الظهر الأحدب)، فضلاً عن شخصيات القصيدة الكهلة، إذ يبدو البؤس والرفض لملامح العالم الخارجي، وانعكاس ذلك على العالم الباطني، فهو يمثل معنى الإدراك لمصير الأزلية الحتمية، وبواعث الانعزال عن الكيان الاجتماعي، فالنتاج الشعري-هنا- مثل أداة تستند إلى اللغة الرامزة البعيدة عن الوضوح لبثِّ نسق المعنى المسكوت عنه المتمثل بعدم وجود مثيري التأثير والاستجابة، إذ بدا التأثير فقط بعيداً عن مدرك الاستجابة؛ دلالة على عيش حالة الانفعال المليء بدلالات القنوط، ومحاولة إضاءة المعنى المسكوت عنه الكامن في البنية العميقة للنص، عبر الاستعانة بمفهوم الوصف وجعله بمثابة سؤال عن المصير الحتمي والشعور بالقلق امامه، إذ إنَّ "ثمة تجاذب خلاق بين الشعر وبين آفاق التوتر الكامن في خبايا النفس البشرية التي يقودها الاجهاد الطويل والتفكير المفرط إلى شعورها بالتوتر" (علي، 2024، صفحة 146)، فالمدرك الشعري في نص محمود البريكان جاء منطوياً على تصوير أشياء وإعادة التقاط لها في إطار الدلالة الإيمائية ومخبوءاتها، التي تندرج تحت معنى النسق المضمر.

ويمكن أن يستمد الشاعر فاعلية خطابه الإبداعي من نظام الكلمات داخل القول الشعري؛ ليخلق جسر التواصل ما بين القارئ والنص بتلافيفه النسقية، التي تضمر مخبوء المعنى المراد إيصاله بصورة مسكوت عنها، لاسيَّما وأنَّ "قراءة النص الأدبي قراءة ثقافية، يؤدي إلى نوع من التحليل الثقافي أكثر شمولاً وأعم فائدة للعمل الأدبي ذاته؛ لأنَّه يتجاوز ما وراء حدود النص الأدبي كي يؤسس روابط، ويقيم علاقات بين النص الأدبي من ناحية، وبين القيم والمؤسسات والممارسات الثقافية من ناحية أخرى" (كايد، 2021، صفحة 143)، ذلك أنَّ لكل نص نسقين مزدوجين، الأول: سطحي/ ظاهر، والآخر: معمق/ مضمر، وهذا المزدوج يطرحه المبدع؛ يوعز لتأسيس نسق ثقافي مضمر، يدفعه في ذلك اللاشعور أو اللاوعي. ويمكن الوقوف عند نص السيَّاب واختياراته اللفظية التصويرية، التي تتخذ من التكثيف الإيمائي، بوصفه حركة تفاعلية نصية، قدرة استيعابية ومدرك ذاتي في الرؤية الشاعرية، بقوله (السياب، 2017، الصفحات 17-19):

نقالة إسعاف سوداء
وكأنَّ الليل قطيع نساء
كحلٌ، وعباءات سود
الليل خباء
الليل نهار مسدود
...
فالناس كثير والظلماء
نقالة موتى سائقها أعمى، وفؤادك جبانهْ

إذ إنَّ التقاط القيمة الفنية يبلور المعنى المسكوت عنه في النص لدى الشاعر، حيث التوجه نحو السواد، الذي يمثل لونه (نسقية ثقافية ذهنية) لدى القارئ لمفهوم السوداوية، والاقتراب من هواجس الخوف أمام مواجهة المصير، وكأنما يحاول ان يجعل من (نقالة الموتى) ووصفها بالسواد معادلاً موضوعياً للحياة بسمتها المهشمة، حيث الشعور بفقدان الشغف، إذ إنَّ النقالة تعد وسيلة إنقاذ وهي بذا تكتسب صفة إعطاء الحياة للإنسان، ولكن دلالة اللون الأسود تغاير هذا المعنى المعطى، لتمنحه تحولا نصيا يختزل معنى الايحاء في وجود شعور مواجهة الزمن والحياة بسطوتها وقيدها الاجتماعي.

ولعل من المهم الإشارة إلى المختزل الدلالي للفظة (جبانهْ) التي تمثل معنى النهاية الحتمية للإنسان، وهذا ما يجعل الشاعر يفسر الاشياء بمدركه الذاتي، وتعقيداته المترسبة في مكنوناته الشخصية، فهو يصغي لدوافعه الداخلية؛ محولا المزج بين البعد الخيالي (الشاعرية)، والبعد النفسي(الانفعال)، تاركا هاجسي المثير والاستجابة، وهذا ما يجعله شديد الانحياز إلى جانب الشعور الذاتي السوداوي المرتبط بعدم جدوى الحياة واشغال محتواه الداخلي بصيغتها القائمة على الفناء، فلا ينظر لما هو موجود، بل يستشرف جزئيات وتفصيلات الميل الفطري لتحقق معنى النهاية الحتمية.

وهذا ما يوضح علاقة النسق بالسياق في الوظيفة التحليلية للنص الابداعي، ومضمراته الثقافية، عبر تفكيك البنى النصية وانفتاحها على المناهج النقدية كافة.

وعلى وفق ما تقدَّم، يمكن القول: إنَّ المقاربة النفسية لقصيدتي السيَّاب ومحمود البريكان، تتضح بالتقارب الانفعالي النفسي لبنية القصيدتين، المتمثل بالقلق الوجودي، والاغتراب، والشعور باللاجدوى. كما تعدُّ ملامح القصيدتين الحداثوية عاملاً مشتركاً بينهما من حيث اعتماد الترميز والمدلولات الإشارية، التي تستند إلى البوح الشعري في بثِّ الرؤى والأفكار، فضلاً عن إظهار الدوافع السايكولوجية الخفية.

خاتمة ونتائج البحث

- أظهرت الدراسة وجود التشابه البنائي لنصي الشاعرين السيَّاب ومحمود البريكان، في تمثلهما لمدركات التوجه الحداثوي بتشكلاته الدلالية المشفرة ومعطيات البعد الإنساني الفكري.
- إنَّ كلا من الشاعرين لم يكن لديه الانسجام مع المجتمع من حيث التفاعل مع الواقع ومساحاته التعبيرية التي تنعكس على البناء الشعري، وتمنحه الرغبة في الابتعاد عن إظهار الرؤية الشعرية المرتبطة بالنزوع الاجتماعي والنفسي تجاه العالم الحقيقي، مما حدا بالنص لأن ينجرف وراء نسقية ثقافية تلقي بضلالها على النص.
- مثلت الهوية الشعرية ملمحاً من ملامح الانعكاس السايكولوجي المستوعب داخل النص، بما يمنح من مقدرة استيعابية على تحديد المدركات ودلالتها الشمولية، التي يمكن أن تستجلى من هواجس الذات النفسية كالقلق والاغتراب والسوداوية.
- إنَّ الاستقصاء الرمزي داخل النص الشعري لكلا الشاعرين أنتج مسارات خطابية تستجلى عبر القراءة الثقافية التي يمنحها النص ببعده النسقي المتكئ على العملية التواصلية والوظيفة الإفهامية في نزوعها المجتمعي والنفسي، الذي بدا واضحا لدى الشاعرين بوصفه دالة سيمائية يشتمل عليها الخطاب الشعري ببعده التلميحي الثاوي داخل بنية النص العميقة.
- يتجلى القلق لدى السيَّاب بصيغته الوجودية عبر استبطان الذات والوقوف أمام المأساة الفردية بنزعتها الذاتية. أمَّا البريكان فيتسم قلقه بالعمق الفلسفي حيث يتجه صوب التأمل في عبثية الحياة واغترابها.

قائمة المصادر

ارثر ايزابرجر. (2003). النقد الثقافي، تمهيد مبدئي للمفاهية الرئيسية (المجلد ط(1). (وفاء ابراهيم ورمضان بسطاويسي، المترجمون) المجلس الاعلى للثقافة.
بدر شاكر السياب. (2017). أنشودة المطر. المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي.
بشرى موسى صالح. (2012). بويطيقا الثقافة، نحو نظرية شعرية في النقد الثقافي (المجلد ط(1)). بغداد-العراق: دار الشؤون الثقافية العامة.
جمال عجيل سلطان الازبجي. (2020). تجليات القلق في شعر محمود البريكان. مجلة كلية الآداب- الجامعة المستنصرية- المجلد(44)- العدد(90).
حسين القاصد. (2023). الدلالة الثقافية وسيميائية النسق المضمر (المجلد الأولى). بغداد: مؤسسة دار الصادق الثقافية.
حسين القاصد. (2023). النقد الثقافي بين الجماليات والقبحيات (المجلد الأولى). بغداد: دار الصادق الثقافية.
حسين علي جبار القاصد. (2017). المعنى التداولي والأنساق الثقافية للخطاب- بحث في النقد الحديث. مجلة كلية التربية - الجامعة المستنصرية-المجلد(1) العدد(4).
د. أحمد العزي صغير. (2014). مصطلحات ومفاهيم في الأدب والنقد- رؤى وأبعاد. القاهرة: الحضارة للنشر.
د. مصطفى حسيبة. (2009). المعجم الفلسفي (المجلد الأولى). الاردن- عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع.
رجاء عيد. (سبتمبر، 1993). الشعر والكلمات. مجلة علامات- العدد 9.
رضاب حافظ حميد كايد. (2021). المتن الثقافي والحيل النسقية- المضمر النسقي من القبيح إلى الجمالي. مجلة كلية التربية الأساسية- الجامعة المستنصرية- المجلد 27- العدد 113.

سهير صالح علي. (آذار، 2024). صورة القلق في النص الشعري العراقي المعاصر. مجلة كلية الآداب الجامعة المستنصرية-المجلد (48)- العدد (105)- الجزء الأول.
عبد الله الغذامي. (2005). النقد الثقافي - قراءة في الأنساق الثقافية العربية (المجلد الثالثة). لبنان- بيروت: المركز الثقافي العربي.
عبد النبي اصطيف. (2017). ما النقد الثقافي؟ ولماذا؟ مجلة فصول - مجلة النقد الأدبي- المجلد (25/3) - العدد (99).
علي عزيز صالح. (2017). التشكيل المكاني ودوره في التكوين الدلالي عند الجواهري. مجلية كلية التربية الأساسية- الجامعة المستنصرية- المجلد (23)- العدد (99).
محمود البريكان. (ايار، 1970). جلسة الأشباح. الأقلام.
مصطفى سويف. (بلا تاريخ). الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة (المجلد الرابعة). القاهرة: دار المعارف.
ميجان الرويلي وسعد البازعي. (2002). دليل الناقد الأدبي (المجلد ط(3)). بيروت لبنان: المركز الثقافي العربي.
يوسف عليمات. (2004). جماليات التحليل الثقافي- الشعر الجاهلي نموذجاً (المجلد الاولى). بيروت: المؤسسة العربية للدراسة والنشر.
يوسف محمود عليمات. (2015). النقد النسقي- تمثيلات في الشعر الجاهلي (المجلد الأولى). عمان: الأهلية للنشر والتوزيع.

List of sources

Arthur Eisberger. (2003). Cultural Criticism, an Initial Introduction to the Main Concepts (Volume (1)). (Wafaa Ibrahim and Ramadan Bastawisi, Translators) Supreme Council of Culture.
Badr Shakir al-Sayyab. (2017). Rain Song. United Kingdom: Hindawi Foundation.
Bushra Musa Saleh. (2012). Poetics of Culture, Towards a Poetic Theory in Cultural Criticism (Volume (1)). Baghdad-Iraq: General Cultural Affairs House.
Jamal Ajil Sultan al-Azbaji. (2020). Manifestations of Anxiety in Mahmoud al-Buraikan's Poetry. Journal of the College of Arts - Al-Mustansiriya University - Volume (44) - Issue (90.(
Hussein al-Qased. (2023). Cultural Significance and Semiotics of the Implicit System (Volume 1). Baghdad: Dar al-Sadiq Cultural Foundation.
Hussein al-Qased. (2023). Cultural Criticism between Aesthetics and Ugliness (Volume 1). Baghdad: Dar al-Sadiq Cultural House.
Hussein Ali Jabbar al-Qased. (2017). Pragmatic Meaning Cultural Systems of Discourse - A Study in Modern Criticism. Journal of the College of Education - Al-Mustansiriya University - Issue (4.(

Dr. Ahmed Al-Azzi Sagheer. (2014). Terms and Concepts in Literature and Criticism - Visions and Dimensions. Cairo: Al-Hadara for Publishing.
Dr. Mustafa Hasiba. (2009). The Philosophical Dictionary (First Volume). Jordan - Amman: Osama House for Publishing and Distribution.
Raja Eid. (September, 1993). Poetry and Words. Signs Magazine - Issue 9.
Radhab Hafez Hamid Kaid. (2021). The Cultural Text and Systematic Tricks - Systematic Implicit from the Ugly to the Beautiful. Journal of the College of Basic Education - Al-Mustansiriya University - Volume 27 - Issue 113.
Suhair Saleh Ali. (March, 2024). The Image of Anxiety in the Contemporary Iraqi Poetic Text. Journal of the College of Arts, Al-Mustansiriya University - Issue (105) - Part One.
Abdullah Al-Ghadami. (2005). Cultural Criticism - Reading in Arab Cultural Systems (Volume Three). Lebanon- Beirut: Arab Cultural Center.
Abdul Nabi Astif. (2017). What is Cultural Criticism? And Why? Fusul Magazine - Literary Criticism Magazine - Volume (3/25) - Issue (99.(
Ali Aziz Saleh. (2017). Spatial Formation and Its Role in Semantic Formation in Al-Jawahiri. Journal of the College of Basic Education - Al-Mustansiriya University - Volume (23) - Issue (99.(
Mahmoud Al-Buraikan. (May, 1970). Ghost Session. Pens.
Mustafa Suwaif. (undated). The Psychological Foundations of Artistic Creativity in Poetry in Particular (Volume Four). Cairo: Dar Al-Maaref.
Megan Al-Ruwaili and Saad Al-Bazie. (2002). The Literary Critic's Guide (Volume Edition (3)). Beirut, Lebanon: Arab Cultural Center.
Youssef Aleimat. (2004). Aesthetics of Cultural Analysis - Pre-Islamic Poetry as a Model (Volume One). Beirut: Arab Foundation for Study and Publishing.
Youssef Mahmoud Aleimat. (2015). Systemic Criticism - Representations in Pre-Islamic Poetry (Volume 1). Amman: Al-Ahliya for Publishing and Distribution.

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.31 (NO. 129) 2025, pp. 471-482

Abstract:
Undoubtedly, the poetic function is deeply rooted in its ability to convey intellectual visions and expressive energies through various references, particularly the psychological dimensions and their manifestations within the poetic text. This research aims to uncover these dimensions by focusing on the implicit aspects of the text that exhibit an openness to interpretation. The poet employs multiple levels of poetic engagement, establishing a dynamic relationship with both the reader and reality through linguistic condensation and suggestive expression. This necessitates reliance on artistic and literary aesthetics that address social and psychological needs, ultimately seeking to influence the reader. The study selects two exemplary poems: "A Song in August" by Badr Shakir Al-Sayyab and "The Ghosts' Gathering" by Mahmoud Al-Breikan. These works embody a distinctive feature of poetic creation, constructing a world where characters, places, times, and events interweave—reflecting the poet's vision within their poetic realm. Moreover, these texts potentially establish a cultural framework grounded in socially and psychologically driven references, articulated within a creative poetic structure. Such a structure invites the reader to explore the unspoken elements embedded within linguistic meanings and their thematic richness.
Keywords: cultural framework, anxiety, absurdity, psychological approach, textual structure.